

## سورة التحريم

معنى الكلمات :

تبتغي : تطلب .

تحلة أيانكم : تحليتها بالكفارة .

مولاكم : ناصركم ومتولى أموركم .

نبأت به : أخبرت به غيرها .

أظهره الله : أطلعه الله عليه .

صغت قلوبكما : مالت عن حقه ﷺ عليكما .

تظاهرا عليه : تتعاونوا عليه بما يسوءه .

غلاظ شداد : قساة أقوياء وهم الزبانية .



## الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم أن التحليل والتحريم لا يكون بالهوى ولكن بالشرع .

٢ - أن نعلم كرامة الرسول ﷺ على ربه .

٣ - أن نستشعر خطورة المسؤولية الموكولة إلينا .

## المحتوى التربوي :

تبدأ السورة بعتاب من الله سبحانه لرسوله ﷺ ؛ إذ حرم جاريته مارية ترضية ، وذلك أنه ﷺ خلا بها في بيت إحدى نساءه فاطلعت عليه ، فقالت : يا رسول ، في بيتي وعلى فراشي ، فجعل مارية عليه حراما ترضية لصاحبة الحجرة والفراش ، وهذا العتاب مؤثر موح ، فما يجوز أن يحرم المؤمن على نفسه ما أحله الله له من متاع ، والرسول ﷺ لم يكن حرم العسل أو مارية بمعنى التحريم الشرعى ، إنما كان قد قرر حرمان نفسه ، فجعل هذا العتاب يوحى بأن ما جعله الله حلالا فلا يجوز حرمان النفس منه عمداً وقصداً إرضاء لأحد ، والتعقيب يوحى بأن هذا الحرمان من شأنه أن يستوجب المؤاخذه ، وأن تتداركه مغفرة الله ورحمته .

فأما اليمين التي يوحى النص بأن الرسول ﷺ قد حلفها ، فقد فرض الله تحلفتها أى كفارتها التي يحل منها ، ما دامت في غير معروف والعدول عنها أولى ، والله يعينكم على ضعفكم وعلى ما يشق عليكم ، ومن ثم فرض تحلة الأيمان للخروج من العنت والمشقة ، وهو يشرع لكم عن علم وعن حكمة ، ويأمركم بما يناسب طاقتكم وما يصلح لكم ، فلا تحرموا إلا ما حرم ولا تحلوا غير ما أحل .

ثم يشير إلى الحديث ولا يذكر موضوعه ولا تفصيله ؛ لأن موضوعه ليس هو المهم ، وليس هو العنصر الباقي فيه ، إنما العنصر الباقي هو دلالاته وآثاره ، ومن النص نطلع على نموذج من تلك الفترة العجيبة في تاريخ البشرية ، الفترة التي يعيش فيها الناس مع السماء ، والسماء تندخل في أمرهم علانية وتفصيلا ، ونعلم أن الله قد أطلع نبيه على ما دار بين زوجيه بشأن ذلك الحديث الذي أسره إلى بعض أزواجه ، وأنه ﷺ حين راجعها فيه اكتفى بالإشارة إلى جانب منه ، وأنه أنبأها بمصدر علمه وهو المصدر الأصيل ، وهو الله صاحب العلم والخبرة .

ويتغير السياق من الحكاية عن حادث وقع إلى مواجهة وخطاب للمرأتين كأن الأمر حاضر ، وحين تتجاوز صدر الخطاب ، ودعوتها إلى التوبة ؛ لتعود قلوبها فتميل إلى الله ، فقد بعدت عنه بما كان منها حين تتجاوز هذه الدعوة إلى التوبة نجد حملة ضخمة هائلة وتهديداً رعبياً مخيفاً ، ومن هذه الحملة الضخمة الهائلة ندرك عمق الحادث وأثره في قلب رسول الله ﷺ حتى احتاج الأمر إلى إعلان موالاته الله وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وأعوان له ، ليطيب خاطر الرسول ﷺ ويحس بالطمأنينة والراحة من ذلك الأمر الخطير .

وكذلك دلالة الآية التالية وتفصيل صفات النساء اللواتي يمكن أن يبذل الله النبي بهن من أزواجه ولو طلقهن ، مع توجيه الخطاب للجميع في معرض التهديد ، وهى الصفات التي يدعوهم إليها عن طريق الإيجاء والتلميح ، وهى الإسلام الذي تدل عليه الطاعة والقيام بأوامر الدين ، والإيمان الذي يغمر القلب ، وعنه ينبثق الإسلام حين يصح ويتكامل ، والقنوت وهو الطاعة القلبية ، والتوبة : هى الندم على ما وقع من معصية والاتجاه إلى الطاعة ، والعبادة وهى أداء الاتصال بالله والتعبير عن العبودية له ، والسياسة وهى التأمل والتدبر والتفكير في إبداع الله والسياسة بالقلب في ملكوته ، وهن - مع هذه الصفات - من الشيبات ومن الأبقار ، كما أن نساءه الحاضرات كان فيهن الشيب وفيهن البكر .

يقول صاحب الظلال : « فهذه صورة من الحياة البيتية لهذا الرجل الذى كان ينهض بإنشاء أمة وإقامة دولة على غير مثال معروف ، وعلى غير نسق مسبوق ، أمة تنهض بحمل أمانة العقيدة الإلهية في صورتها الأخيرة ، وتنشئ في الأرض مجتمعا ربانيا في صورة واقعية يتأسى بها الناس ، وهى صورة من حياة إنسان كريم رفيع جليل عظيم ، يزاول إنسانيته في الوقت الذى يزاول فيه

نبوته ، فلا تفرق هذه من تلك ؛ لأن القدر جرى بأن يكون بشراً رسولاً ، حينها جرى بأن يحمله الرسالة الأخيرة للبشر أو منهج الحياة الأخير ، إنها الرسالة الكاملة يحملها الرسول الكامل » .

وفي ظلال هذا الحادث الذى كان وقعه عميقاً فى نفوس المسلمين ، يهيب القرآن بالذين آمنوا ليؤدوا واجبهم فى بيوتهم من التربية والتوجيه والتذكير ، فيقوا أنفسهم وأهلهم من النار ، ويرسم لهم مشهداً من مشاهد ما وحال الكفار عندها ، فتبعة المؤمن فى نفسه وفى أهله تبعة ثقيلة رهيبة ، فالنار هناك وهو متعرض لها وهو وأهله ، وعليه أن يحول دون نفسه وأهله ودون هذه النار التى تنتظر هناك ، إنها نار فظيعة مستعرة ، الناس فيها كالخجالة سواء ، فى مهانة الحجارة ، وفى رخص الحجارة وفى قذف الحجارة دون اعتبار ولا عناية .

وما أظفعتها ناراً هذه التى توقد بالحجارة ، وما أشده عذاباً هذا الذى يجمع إلى شدة اللذع المهانة والحجارة ، وكل ما بها وما يلبسها فظيع رهيب ، فعليها ملائكة طباعهم غليظة ، قد نزعت الرحمة من قلوبهم بالكافرين بالله ، تتناسب طبيعتهم مع طبيعة العذاب الذى هم به موكلون ، فتركيهم فى غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج ، ومهما أمرهم الله بشئ يبادروا إليه فمن خصائصهم طاعة الله فيما يأمرهم ، ومن خصائصهم كذلك القدرة على النهوض بما يأمرهم ، وهم بغلظتهم هذه وشدتهم موكلون بهذه النار الشديدة الغليظة .

وعلى المؤمن أن يقى نفسه وأن يقى أهله من هذه النار ، وعليه أن يحول بينها وبينهم قبل أن تضع الفرصة ولا يتفع الاعتذار ، فها هم أولاء الذين كفروا يعتذرون وهم عليها وقوف ، فلا يؤبه لاعتذارهم ، بل يجبهون بالتئيس من قبول اعتذارهم فيقال لهم : لا تعتذروا فليس اليوم يوم الاعتذار ، إنما هو يوم الجزاء على ما كان من عمل فى الدنيا ، وقد عملتم ما تجزون عليه بهذه النار .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - حياة الرسول ﷺ الخاصة فى بيته ومع أسرته وحياته العامة مع الناس جميعاً كتاب مفتوح لأمة وللعالَم كله إلى يوم القيامة ، يعرف الناس منها صورة العقيدة وتطبيقاتها الواقعية فى الحياة .

٢ - على المسلم أن يملك نفسه عند الغضب ، فلا يكثر من الحلف ولا يحرم على نفسه شيئاً أحله الله له .

٣ - يجب على الزوجة المؤمنة أن تحافظ على سر زوجها ، وكذلك كل من يقوم بعمل ما عليه أن يحرس على أسرار عمله وأسرار من يعملون معه .

## معاني الكلمات :

نصوحا : صادقة خالصة لا عودة بعدها للذنوب .

أغلظ : شدد .

مأواهم : مستقرهم .

يغنيا : يدفعها .

نجنى : أنقذنى .

أحصنت : صانت .

روحنا : روحا من خلقنا .

القانتين : القوم المطيعين لربهم .



## الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم طريق الوقاية للنفس والأهل من النار .
- ٢ - أن نتعرف على مثل من نساء كافرات في بيوت أنبياء .
- ٣ - أن نتعرف على مثل من نساء مؤمنات في وسط الكافرين .

## المحتوى التربوي :

في ظلال الدعوة إلى التوبة التي وردت في سياق الحادث يدعو الذين آمنوا إلى التوبة ، ويصور لهم الجنة التي تنتظر التائبين ، ثم يدعو النبي ﷺ إلى جهاد الكفار والمنافقين .

وبين السياق كيف يقى المؤمنون أنفسهم وأهلهم هذه النار ، بين لهم الطريق ، ويطمئعهم بالرجاء ؛ فالطريق توبة نصوح ، توبة تنصح القلب وتخلصه ، ثم لا تغشه ولا تحده ، توبة عن الذنب والمعصية ، تبدأ بالندم على ما كان ، وتنتهى بالعمل الصالح والطاعة ، فهي عندئذ تنصح القلب فتخلصه من رواسب المعاصي وعكارها ، وتحضه على العمل الصالح بعدها ، فهذه هي التوبة النصوح ، التوبة التي تظل تذكر القلب بعدها وتنصحه فلا يعود إلى الذنوب . فإذا كانت

هذه التوبة فهي مرجوة إذن في أن يكفر الله بها السيئات وأن يدخلهم الجنات ، في اليوم الذي يخزي فيه الكفار ، ولا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ، وإنه لإغراء مطمع ، وتكريم عظيم أن يضم الله المؤمنين إلى النبي ﷺ ، فيجعلهم معه صفاء يتلقى الكرامة في يوم الخزي ، ثم يجعل لهم نوراً يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، نوراً يعرفون به في ذلك اليوم الهائل المائج العصيب الرهيب ، ونوراً يبتدون به في الزحام المريع ، ونوراً يسعى بين أيديهم وبأيمانهم إلى الجنة في نهاية المطاف .

وهم في رهبة الموقف وشدته يلهمون الدعاء الصالح بين يدي الله ؛ بأن يتم لهم نورهم ، ويغفر لهم ذنوبهم ، وإلهامهم هذا الدعاء في هذا الموقف الذي يلجم الألسنة ويسقط القلوب ، هو علامة الاستجابة ، فما يلهم الله المؤمنين هذا الدعاء إلا وقد جرى قدره بأنه سيستجيب ، فالدعاء هنا نعمة يمنّ بها الله عليهم تضاف إلى منة الله بالتكريم والنور ، فأين هذا من النار التي وقودها الناس والحجارة ؟

يقول صاحب الظلال : « إن المؤمن مكلف بهداية أهله وإصلاح بيته ، كما هو مكلف بهداية نفسه وإصلاح قلبه ، إن الإسلام دين أسرة ... ومن ثم يقرر تبعة المؤمن في أسرته ، وواجبه في بيته ، والبيت المسلم هو نواة الجماعة المسلمة ، وهو الخلية التي يتألف منها ومن الخلايا الأخرى ذلك الجسم الحى ... المجتمع الإسلامى ، إن البيت الواحد قلعة من قلاع هذه العقيدة ، ولا بد أن تكون القلعة متماسكة من داخلها حصينة في ذاتها ، كل فرد فيها يقف على ثغرة لا ينفذ إليها .. وواجب المؤمن أن يتجه بالدعوة أول ما يتجه إلى بيته وأهله ، واجبه أن يؤمن هذه القلعة من داخلها ، واجبه أن يسد الثغرات فيها قبل أن يذهب عنها بدعوته بعيداً ، ولا بد من الأم المسلمة ، فالأب المسلم وحده لا يكفي لتأمين القلعة ، لا بد من أب وأم ليقوما كذلك على الأبناء والبنات ، فعبثاً يحاول الرجل أن ينشئ المجتمع الإسلامى بمجموعة من الرجال ، لا بد من النساء في هذا المجتمع فهن الحارسات على النشء ، وهو بذور المستقبل وثماره » .

وإنها ضرورة وليست نافلة أن تقوم جماعة مسلمة ، تتواصى بالإسلام ، وتحتضن فكرته وأخلاقه وآدابه وتصوراته كلها ، فتعيش بها فيما بينها ، وتعيش لها تحرسها وتحميها وتدعوا إليها ، في صورة واقعية يراها من يدعون إليها من المجتمع الجاهل الضال ليخرجوا من الظلمات إلى النور بإذن الله ، إلى أن يأذن الله بهيمنة الإسلام ، حتى تنشأ الأجيال في ظله ، وفي سبيل حماية الجماعة المسلمة الأولى كان الأمر لرسول الله ﷺ بمجاهدة أعدائها ، وهى لفظة لها معناها وقيمتها بعدما تقدم من أمر المؤمنين بوقاية أنفسهم وأهلهم من النار ، لها قيمتها في ضرورة حماية المحضن الذى تتم فيه الوقاية من النار ، وتجمع الآية بين الكفار والمنافقين في الأمر بجهادهم

والغلظة عليهم ؛ لأن كلا من الفريقين يؤدي دوراً مماثلاً في تهديد المعسكر الإسلامى ، وتخطيمه أو تفتيته ، فجهادهم هو الجهاد الواقعى من النار ، وجزاؤهم هو الغلظ عليهم من رسول الله والمؤمنين فى الدنيا ، وجهنم فى الآخرة وبئس المصير .

ثم يتحدث السياق عن نساء كافرات فى بيوت أنبياء ، ونساء مؤمنات فى وسط كفار ، والمأثور فى تفسير خيانة امرأة نوح وامرأة لوط ، أنها كانت خيانة الدعوة ، وليست خيانة الفاحشة ، امرأة نوح كانت تسخر منه مع الساخرين من قومه ، وامرأة لوط كانت تدل القوم على ضيوفه وهى تعلم شأنهم مع ضيوفه، والمأثور كذلك امرأة فرعون أنها كانت مؤمنة فى قصره .

والإشارة القرآنية تعنى حقيقة دائمة مستقلة عن الأشخاص ، والأشخاص مجرد أمثلة لهذه الحقيقة : إن مبدأ التبعة الفردية يراد إبرازه هنا ، بعد الأمر بوقاية النفس والأهل من النار ، كما يراد أن يقال الأزواج النبى ﷺ وأزواج المؤمنين كذلك إن عليهن أنفسهن بعد كل شئ ، فهن مسؤولات عن ذواتهن ، ولن يعفيهن من التبعة أنهن زوجات نبى أو صالح من المسلمين .

وهاهى امرأة نوح وكذلك امرأة لوط كانتا فى صحبة نبيين رسولين ليلاً ونهاراً ، يؤاكلانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط ، ولم يوافقاهما على الإيمان ، وخانتاهما فى الإيمان ، فلم يُجد ذلك كله شيئاً ولا دفع عنهما محذوراً لكفرهما ، وقيل للمرأتين : ادخلا النار مع الداخلين ، فلا كرامة ولا شفاعة فى أمر الكفر والإيمان .

وهاهى ذى امرأة فرعون ، لم يصدها طوفان الكفر الذى تعيش فيه ، فى قصر فرعون ، عن طلب النجاة وحدها ، وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة إلى ربها بيتا فى الجنة ، وتبرأت من صلتها بفرعون فسألت ربها النجاة منه ، وتبرأت من عمله مخافة أن يلحقها منه شئ ، وتبرأت من قوم فرعون وهى تعيش بينهم ، ومريم ابنة عمران كانت كذلك مثلاً للتجرد لله منذ نشأتها ، ويذكر هنا تطهرها وإيمانها الكامل وطاعتها ، فإن الله بعث إليها جبريل فتمثل لها فى صورة بشر سوى ، وأمره الله أن ينفخ : فيه فى جيب درعها ، فنزلت النفخة فولجت فى فرجها بقدره وشرعه . ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - الله تبارك وتعالى يقبل توبة عباده ويعفو عن السيئات بشرط ترك الذنب ، والندم على ما حدث ، والعزم على عدم العودة إليه مرة أخرى ، وإن كان الذنب فى حق الناس فلا بد مع ذلك من رد المظالم إلى أصحابها حتى يسامحوا .

٢ - الإيمان أعظم من كنوز الدنيا كلها ومتاعها الزائل .

٣ - المؤمن مكلف هداية أهله ، وإصلاح بيته ، وأول الجهد ينبغى أن يوجه إلى البيت .